مقاربة أسلوبية للمؤلّفات العربيّة في العصر السامانيّ

طالبة الدكتوراه زهرا نهاوندي
الجمهورية اللبنانية
الجامعة الإسلامية ـ كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية وآدابها
Nahavandyan@yahoo.com

A stylistic approach to the Arabic literature in the Samanic age

PhD student Zahra Nahandi
Lebanon Republic
Islamic University - College of Arts - Department of Arabic Language and Literature

الملخص:-

تناول هذا البحث دراسة المؤلّفات العربية التي قام بكتابتها الأدباء الإيرانيون في العصر السامانى الذي بلغت فيه اللغة العربيّة ذروتها بفضل جهود أمراء بخارى فجاء أكثر إنتاجها في ظلّهم ورعايتهم، حيث تمّ تأليف العديد من الكتب النثريّة والشعريّة فهو بحث أسلوبي إحصائي، قائم على المنهج الوصفي التحليلي، درس نماذج من أبرز المؤلّفات من أجل إبراز ميزاتها الأسلوبية وكشف البحث عن الكتب المتعدّدة التي كتبت باللغة العربيّة في المجالات المختلفة العلميّة، والثقافية والأدبيّة، والتي أثارت اهتمام العرب والشعوب الأخرى في هذا العصر والقرون اللاحقة مثل آثار البيروني، والرّازي والخوارزمي وآثار المتصوفة وغيرها، حيث الأمثلة المدروسة أظهرت أنّ الأسلوب في كتب التفسير جاء نقليًا من دون محسّنات كما أنّ المؤلّفات التي تناولت علم الرياضّات كانت ذات صبغة علميّة تعتمد في الأسلوب على عبارات تعليميّة بسيطة وقد كانت لغة الكاتب في الكتب الجغرافية فصيحة وبسيطة وواضحة لا لحن فيها ولا ألفاظ غريبة، وامتازت بالجمل القصيرة. أمّا في المؤلّفات ذات النزعة الأدبيّة فنري أنّ الشعراء رغبوا في استخدام بعض الألفاظ الأعجميّة والمعرّبة.

الكلمات المفتاحية:- العصر السامانى - المؤلفات العربية - الأسلوب - اللغة النثرية - اللغة الشعرية.

Abstract:-

This article has been reviewed arabic compilations that written by Iranian writers in the Samani age that The Arabic language reached its peak in that period to the efforts of Bukhara princes and the most of its production came under their shadow where many books were written prose and poetic. It is a statistical methodological research, based on the descriptive analytical approach, and studied models of the most prominent works in order to highlight its stylistic features. This search has revealed numerous books written in Arabic in different scientific, cultural and literary fields, Books that aroused the interest of Arabs and other peoples in this age and later centuries, Such as works of Al-Bīrūnī, al-Rāzī, al-Khwārizmī The studied examples showed that The style in the books of interpretation came without any optimists and Books written in mathematical science, they where of a scientific nature and the method relies on simple learning phrases. The writer's language in the geographical books was clear and simple and characterized short sentences but in the literary literature, we see that the poets wanted to use some Persian words.

Key words:- the Samanic age, Arabic literature, style, prose language, poetic language.

المقدّمة:ـ

مع الفتوحات الإسلاميّة انتشرت اللغة العربيّة في مناط غير عربيّة وتأثّرت بها شعوب تلك البلدان. كان ذلك الإقبال على اللغة العربيّة لأنّها المصدر التشريعيّ الإسلاميّ للقرآن والأحاديث النبويّة والأحكام والعبادات. كذلك الفرس أصبحوا يتكلّمون اللغة العربيّة كلغة ثانية بالإضافة إلى لغتهم الأمّ لا سيّما أن اللغة العربيّة في تلك الفترة كانت في قمّة ازدهارها كونها كانت لغة العلم والأدب. ولقد ساهم الأمراء السامانيّون بانتشار العربيّة كونها لغة القرآن والحديث أيضا وهكذا أدّت اللغة العربيّة دورها الحضاريّ في ظلّ دعم هؤلاء الأمراء الذين اهتمّوا بها كثيرا فضلا عن اهتمامهم باللغة الفارسيّة وأدبائها. بمعني آخر، بلغت اللغة العربيّة ذروتها بفضل جهود أمراء بخارى فجاء أكثر إنتاجها في ظلّهم ورعايتهم، حيث تمّ تأليف العديد من الكتب النثريّة والشعريّة وفضلا عن دورها الأدبيّ أصبحت اللغة العربيّة اللغة الرسميّة للدين والحكم ووسيلة للمكاتبات في البلاط. احتلّت العربيّة مكانتها العلميّة والفكريّة، حيث ألفت كتب كثيرة في مختلف الفروع. وتمّت ترجمة كتب كثيرة من اللغات الأخرى إلى العربيّة بيد مترجمين إيرانيّين وتمّ تداولها في المجالات الثقافيّة. لهذا السبب، نقوم في هذا البحث بدراسة المؤلّفات العربية التي ألّفها الأدباء الفرس من منظار الأسلوبية بمعني آخر إنّ معالجة أساليب الكتاب والأدباء في مؤلّفاتهم هي الهدف الرئيسي لهذا البحث وكما هو معلوم أنّ النقد قد تطوّر في العقود الأخيرة تطوّرا كبيراً وتغير من حيث المنهج ومن حيث زوايا النظر، حيث ظهر في الأفق الأدبي منهج خاضع لعلم اللغة والأدب والذي ينادي باستقلال الأدب وعلمه عن غيرهما من علوم الإنسان ومن هذه المذاهب "الأسلوبية" التي قد أثارت الأذهان، حيث ((تحتل دراسات الأسلوب مكانة متميزة في الدراسات النقدية المعاصرة ويقوم كثير من هذه الدراسات على تحليل الأعمال الأدبية واكتشاف قيمتها الجمالية والفنية انطلاقا من شكلها اللغوي باعتبار أن الأدب فن قولي تكمن قيمته الأولي في طريقة التعبيرعن مضمون ما.)) (درويش، لاتا: ١٣) يسعي هذا البحث إلى الإجابة عن عدة أسئلة رئيسية وهي:

١- ما المؤلّفات التي ساعدت على انتشار اللغة العربيّة في العصر الساماني، وما هي المواضيع التي عالجتها؟

٢- ما هي الميزات الأسلوبية للمؤلّفات العربية في ذلك العصر؟

٣- كيف أثّرت الثقافة الفارسية بما فيها اللغة الفارسية في هذه المؤلفات؟

الدراسات السابقة

راجعت عددا كبيرا من الكتب والمجلّات التي تناولت العصر السامانيّ من قريب أو من بعيد، لكنّي لم أجد فيها سوي عناوين عامّة تعرّف إمّا بتاريخ هذا العصر، أو ببعض المظاهر الثقافية فيه، أو خلاصة عامّة للأدب، شعراً ونثراً إلا أنّ هناك بعض الدراسات تناولت الموضوع منها:

- ((الحياة العلميّة زمن السامانيّين)): للكاتب: كتاب إحسان ذنون الثامريّ: هو أوّل كتاب تحدّ بالتحديد عن الحياة العلميّة في زمن السامانيّين، لكنّ المؤلف عندما تطرّق إلى اللغة والأدب لم يحصرهما ضمن النطاق الجغرافيّ للدولة السامانيّة بل توسّع في هذا المجال حتى خارج حدود هذه الدولة، ولم يشر إلى المؤلّفات ومميّزاتها بشكل خاصّ، بينما حصرت دراستي اهتمامها، في بحثها حول اللغة والأدب، ضمن النطاق الجغرافيّ فقط للدولة السامانيّة.

- **فرهنگ** وتمدن اسلامي در قلمرو سامانيان (الثقافة والحضارة الإسلاميّتان في منطقة حكم السامانيين) الذي يعدُّ أشمل كتاب عن هذا العصر، وهو من تأليف محمّد رضا ناجي. هو يقدم نظرة شاملة من كلّ الجوانب حول هذا العصر. فقد تناول المؤلّف هذا العصر من الناحية الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة فضلا عن النظرة التاريخية والجغرافيّة، إلاّ أنّه تطرّق بإيجاز إلى اللغة في هذا العصر، في حين لم تعالج هذه الكتب مطلقا معالجة أساليب المؤلّفات العربية التي اهتمّ بكتابتها الأدباء الفرس. لذلك في هذا المقال بالإضافة إلى تعريف أهمّ المؤلفات التي كتبت في ذلك العصر وأبرزها، قمنا بدراسة الخصائص الأسلوبية واستكشاف ميزاتها في الكتب بجميع موضواعتها.

الحياة العلميّة والأدبية في الدولة السامانيّة:

إثر قيام كثير من الدول التي استقلّت عن الخلافة العبّاسيّة، نشطت الحركة الفكريّة وراجت الثقافة وزخر بلاط هذه الدول بالعلماء والشعراء والأدباء، وظهر كثير من الفرق

التي اتّخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقي مآربها السياسية والدينية. من الغريب في الواقع أنّ حملة العلم في الملّة الإسلاميّة كان أكثرهم من العجم، ولا سيّما من خراسان وما وراء النهر)إقليم المشرق(، والذي وصف بأنّه أجلّ الأقاليم ومستقرّ العلم. ومن ثمّ نري صدي هذه النهضة المباركة في بلاط كبلاط السامانيّين في القرن الرابع الهجريّ. (المقدّسي، ١٨٧٧م، ج٢: ٢٠٨) على أبواب القرن الرابع الهجريّ وحتى في القرن الخامس الهجريّ، صارت بخارى مركزًا رئيسيًا للسّياسة والاقتصاد والثقافة في العالم. كما توسّعت العلوم في هذه المنطقة وترعرع كبار العلم والثقافة والسياسة وقادة الجيش، فكلّهم كانوا نتاج إمارة الأمراء السامانيّين ذوي الكفاءة ووزراءهم اللائقين وعلماء ذلك العصر وخبرائهم. (الهروي، ٢٠٠١م: ٩٦)

وصل إقبال العلماء على مدينة بخارى إلى حدٍّ أنّها لقّبت "قبلة الإسلام في بلاد المشرق" وكانت موازية لبغداد. ومردّ ذلك الوضع المتميّز لبخارى هو الأمن والراحة التي وفّرها لها الأمير إسماعيل بن أحمد، حتى صارت مركز الثقافة والعلم في أيام الأمير نصر بن أحمد بن إسماعيل. (Frye, 1965: 43-56)

ونري كذلك نيسابور في القرن الرابع الهجري بلدة متدفّقة بالحياة والنشاط، زاخرة بمجالس العلم على اختلاف أنواعه من الفقه والحديث والكلام والأدب، يتصدّرها المدرّسون من كبار شخصيات الإسلام ويزدحم فيها الطلبة الوافدون إليها من أنحاء البلاد. (محمّدي الملايري، ١٩٦٧م: ١٥٩) وقد خرّجت نيسابور من العلماء كثرة، ونشأ بها على مرّ الأيام من الفقهاء من اشتهر اسمهم وسمق قدرهم وعلا ذكرهم. (ابن حوقل، ١٩٣٩م، ج٢: ٤٣٤)

كان آل سامان من أحسن الملوك سيرة ونظرا وإجلالا للعلم وأهله (المقدّسي، ١٨٧٧م، ج٢: ٣٣٨) وبلاطهم من أعظم بلاطات العالم الإسلاميّ حيث احتضنوا جميع العلماء والأدباء ومن رسومهم أنّهم لا يكلّفون أهل العلم تقبيل الأرض بين أيديهم وغلب عليهم العدل والدين والعلم، واعتقدوا أنّ العلم لا يتقدّم ولا ينمو إلّا في ظلّ الحريّة والتسامح. (جواد، ١٩٥٦م: ٥٠٥) لم يكن بلاط آل سامان ليخلو من المشايخ وذوي الرأي، وكان آل سامان يقيمون المجالس ليالي الجُمَع في شهر رمضان حيث يجتمع الفقهاء للمناظرة بين يدي السلطان (المقدّسي، ١٨٧٧م، ج٢: ٣٣٩) وكان إسماعيل بن أحمد وابنه يحبّان أهل العلم

والدين ويكرمانهم (ابن الأثير، ١٩٦٦م، ج٧: ٢٨٢) كان منصور بن نوح يهتمّ بالشعراء والعلماء أيضاً ولذلك نشأت علاقات قويّة بين الأمراء السامانيّين ورعاياهم. (Frye, 1965: 43-56) على أيّة حال، امتاز العصر الساماني بنهضة علميّة وأدبيّة رائعة، جعلت من عاصمتهم بخارى مركزا من أهمّ المراكز الإسلاميّة، ويرجع ذلك إلى سياسة أمراء السامانيّين الذي عملوا على نشر العلم وجعلوا العلماء والأطباء، حتى عاش في كنفهم عدد كبير منهم.

المؤلّفات العربيّة في الدولة السامانيّة:

أدّى التفاعل بين اللغتين الفارسيّة والعربيّة إلى تطوّر الأدبين وغناهما في كلّ الأبواب وإلى كثرة الترجمات ثمّ المصنّفات العربيّة في علوم البلاغة والبيان والبديع، وانتشار الآثار المنثورة والمنظومة بأساليبها المتنوعة، فضلا عن التأثّر بأسلوب القرآن الكريم الذي كان مصدر البلاغة العربيّة ومن ثم الفارسيّة وقد أدّت هذه العوامل بمجملها إلى إحداث ثغرة في السدّ القائم بين اللغتين الفارسيّة والعربيّة وفسح المجال أمام أدباء الفارسيّة للاقتباس من العربيّة واستعمال مفرداتها ومصطلحاتها. بلغت اللغة العربيّة ذروتها بفضل جهود أمراء بخارى فجاء أكثر إنتاجها في ظلّهم ورعايتهم حيث تمّ تأليف العديد من الكتب النثريّة والشعريّة. وفضلا عن دورها الأدبيّ أصبحت اللغة العربيّة اللغة الرسميّة للدين والحكم ووسيلة للمكاتبات في البلاط. كذلك احتلّت العربيّة مكانتها العلميّة والفكريّة حيث ألّفت كتب كثيرة في مختلف الفروع. وتمّت ترجمة كتب كثيرة من اللغات الأخرى إلى العربيّة بيد مترجمين إيرانيّين وتمّ تداولها في المجالات الثقافيّة. جدير بالذكر أنّ الاهتمام باللغة الفارسيّة لم يكن بمعنى الاتجاه الفارسيّ والبعد عن الإسلام، لأنّ السامانيّين كانوا متأثّرين بشكل كبير بعلماء الدين وبلغة الدين، ولم يمنع رواج الفارسية الدريّة في خراسان اللغة العربيّة من أن تكون لغة الثقافة والعلم في تلك الديار.

اتّسعت دائرة التأليف في الدولة السامانيّة التي حكمت في العهد العبّاسيّ الأوّل، وتفرّعت مع نموّ العقل الإسلاميّ الجدّي الذي كوّنه التفاعل الفكريّ بين الشعوب الإسلاميّة واندماج الثقافات وتلاحقها نتيجة للترجمات. انطلقت التأليفات في مختلف فنون المعرفة وأبواب العلوم كافّة، فنبغ كتّاب وأدباء وعلماء أثروا المكتبة العربيّة بمؤلّفاتهم القيّمة

التي قدّموا فيها عصارة فكرهم وإنتاجهم بحيث تجاوز عدد مؤلّفات بعضهم الثلاثمائة مؤلَّف. كان الأدب قد خطا خطوة كبيرة وتحوّلت الكتابات من وريقات أدبيّة ورسائل لغويّة إلى كتب جامعة كاملة وسرعان ما تخطّى الكتاب الواحد المجلدات بسبب ميل المؤلفين إلى الإطالة والشرح التفصيليّ الدقي والتصنيف والتبويب الشامل. السبب في وفرة الانتاج الأدبيّ والعلميّ في ذلك العهد هو إخلاص العلماء لعملهم أوّلا، ولما تمتّعوا به من حريّة وأمان في ظلّ دولة ترعى الأدب والعلم ثانيا.لا يمكن القول إنّ جميع المؤلّفين اتّبعوا منهجا واحدا، بل الحقيقة إنّ اتجاهاتهم اختلفت وتعدّدت تبعا لثقافتهم. نلاحظ في ذلك العهد أنّ المؤلّفين كانوا قد تناولوا كلّ العلوم والآداب بدءا من الكتابات الدينيّة وما يتعلّق بها، وصولا إلى علوم الرياضيّات والفلك وغيرها.كانت الصفة الغالبة لأدب هذا العهد هي البساطة في التعبير والوضوح . من هذه العلوم كان التفسير ذا وجهة فلسفيّة وعقائديّة)كلاميّة(ويدلّ على الآراء المختلفة في تبيين الآيات القرآنيّة. ولقد اتّضح لنا أنّ المؤلّفات في الحديث كثيرة ومن أهمّها مستخرجات الحديث، وعلل الحديث وكتب رجال الحديث وطبقات المحدّثين. في زمن السامانيّين راج أسلوب أئمّة الحنفيّة، بينما قام المعتزلة في مقابلهم محاولين إظهار عقائدهم الكلاميّة المختلفة، وهذا النقاش موضوع علم الكلام ومؤلّفاته في هذا العصر وفي هذه المنطقة. من جانب آخر كانت وجهة التصوّف والأخلاقيّات من الموضوعات المهمّة التي اشتملت عليها مؤلّفات هذا العصر التي لم تترك مجالا إلّا وولجت إليه.

تاريخ نيسابور هو أحد المؤلّفات في زمن السامانيّين ويشير الحاكم النيسابوريّ فيه إلى ثلاثة آلاف من العلماء في هذه المنطقة، وهذا أمر يصوّر مدى اهتمام سكّان هذا الإقليم بالعلم والمعرفة. إنّ كثرة التآليف في مادة التاريخ تدلّ على قدم المنطقة وعراقة ثقافتها. كما كانت كتب الرياضيّات من المواضيع التي تمّ تناولها كثيرا في هذا العصر فضلا عن أنّ العلوم الأخرى حظيت أيضا باهتمام بالغٍ في هذا العصر.

ميزات المؤلّفات العربيّة من حيث اللغة والأسلوب:

قبل البدء في دراسة الملامح الأسلوبية التي تتميز بها المؤلّفات العربية في العصر السامانى لا بدّ من الوقوف وقفة خاطفة أمام الأسلوبية لتعريفها من أجل الإلمام بنشأتها

ومستوياتها الأساسية تمهيداً لدراسة بعض الظواهر الأسلوبية في هذه المؤلفات. يبدو أن الأسلوبية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدراسات النقدية والبلاغية واللغوية (المسدي، ١٩٧٧م: ٧٧) وقد ظهرت الأسلوبية على أنها منهج نقدي في بدايات القرن العشرين وكان ذلك ناتجاً عن تطور الدراسات اللغوية الحديثة التي قررت أن تتخذ من الأسلوب علماً يدرس لذاته أو يوظف في خدمة التحليل الأدبي (درويش، لاتا: ١٨) وهذا المصطلح ((هو الذي يطلق عليه في الانجليزية stylistics وفي الفرنسية la stylistique والباحث في الأسلوبية stylistician.)) (عبد المطلب، ١٩٩٤م: ١٨٥) ويعد ((شارل بالي)) المؤسس الأول لعلم الأسلوب، وإن كان قد استفاد كثيراً من أفكار ((دي سوسير)) واضع الثنائية المشهورة باللغة والكلام. وأما الأسلوبية فهي علمٌ يدرس اللغةَ ضمن نظام الخطاب. ولكنها أيضاً علم يدرس الخطاب موضعاً على مبدأ هوية الأجناس؛ لذلك كان موضوع هذا العلم متعدد المستويات، مختلف المشارب والاهتمامات، ومتنوع الأهداف والاتجاهات. (عياش، ١٩٩٠م: ٣١) قام المؤلّفون في هذا العصر بتأليف الكتب النثرية والشعرية إلا أنّ النثر هو الغالب حيث نري أنّ الناس ألّفوا فيه وأكثروا. من الكتب النثرية التي أكثر الناس فيها هي الكتب التي تتعلّق بعلم الحديث ومنها: معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ (ت ٤٠٥هـ) يقول الحاكم النيسابوري: ((فإنيّ لّما رأيت البدع في زماننا كثرت ومعرفة الناس بأصول السنن قلّت، مع إمعانهم في كتابة الأخبار وكثرة طلبها على الإهمال والإغفال، دعاني ذلك إلى تصنيف كتاب خفيف يشتمل على ذكر أنواع علم الحديث مما يحتاج إليه طلبة الأخبار، المواظبون على كتابة الآثار وأعتمد في ذلك سلوك الاختصار دون الإطناب في الإكثار.)) (الحاكم النيسابوري، ١٩٣٥م: ١- ٢) أنموذج من معرفة علوم الحديث لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري:

((ومنه ما حدّثنا محمّد بن صالح بن هايء قال حدثنا إبراهيم بن أبي طالب قال حدّثنا الحسن بن عيسي قال حدّثنا ابن المبارك قال حدّثنا عبيد الله بن عمر عن نافع عن القاسم عن عائشة قالت كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا رأي المطر قال: اللهمّ صبياً هنيئاً.

قال الحاكم:

وهذا حديث تداوله الثقات هكذا وهو في الأصل معلول واه. ففي هذه الأحاديث الثلاثة قياس على ثلاث مائة أو ثلاث آلاف أو أكثر من ذلك.

إنّ الصحيح لا يعرف بروايته فقط وإنّما يعرف بالفهم والحفظ وكثرة السماع؛ وليس لهذا النوع من العلم عون أكثر من مذاكرة أهل الفهم والمعرفة ليظهر ما يخفي..)) (المصدر نفسه) أمّا أسلوبه في الكتابة، فقد كان يشرح مصطلحات علوم الحديث فإنّ هذا الكتاب مليء بالأحاديث والأقوال، وكان يتناول الأحاديث، ثمّ يشرحها بكلمات سهلة وجمل بسيطة دون إغلاق، فتأتي الجمل خالية من المحسّنات البديعيّة والصناعات اللفظيّة والمعنويّة.

نري في ذلك العصر رواج كتب في الفقه ومن أبرزها كتاب عنوانه: "السواد الأعظم" لأبي القاسم إسحق بن محمّد الحكيم السمرقنديّ (ت ٣٤٢ ه) السواد الأعظم كتاب في الفقه بأسلوبه الكلاميّ وتفسير بعض الآيات لدعم المذهب الحنفيّ، والتوقّي من إشاعة المعتزلة، كتب بأمر الأمير إسماعيل بن أحمد في العام ٢٩٠ ه. أنموذج من السواد الأعظم لأبي القاسم إسحٰق بن محمّد الحكيم السمرقنديّ:

((واعلم أنّ الطاعة بقضاء الله وقدره وبتوفيقه ومشيته ورضاه وأمره، والمعصية بقضاء الله وتقديره وخذلانه وليس بأمره ولا رضاه، واعلم أنّ جميع أحكام الله تعالى على ثلاثة أوجه: حكم شاء الله تعالى وأحبّه وأمر به وهو الفرائض وحكم شاء الله ويحبّه ولم يأمر به وهو النوافل وحكم شاء الله تعالى ولم يحبّه ولم يأمر به وهو المعاصي)) (حلمي، ١٣١٣هـ: ٤٧) كما هو معلوم أنّ لغة النص بسيطة من دون تكلّف وإغلاق، وجاء النصّ خالياً من الحشو والزوائد والتعقيد والصناعات الأدبيّة ببيان آخر إنّ الكاتب في هذا الكتاب لا يتوخّي التعبير إلا بعبارة سهلة، خالية من السجع والزينة وأنواع البديع، تجري مع الطبع وهكذا تغلّب الطبع على التطبع والفنّ على التفنن والجمال على التجميل والتصنيع.

ومن نزعات أخرى للنثر في هذا العصر النزعة العلمية ومن الكتب الهامة التي تم تأليفها: الضرورات في المقترنات عن كتاب الجبر والمقابلة لأبي الفضل عبد الحميد بن واسع بن ترك الجيليّ أو الخلتليّ. على سبيل المثال: ((وأمّا صيرورة مال وأعداد تعدل جذوررا، فإناّ إذا قلنا مال وأحد وعشرون تعدل عشرة أجذار، فإناّ نجعل المال سطحا مربعا متساوي الأضلاع قائم الزاويا وهو سطح "أ د". كلّ ضلع من أضلاعه جذره.

ونضيف إليه سطح "ه ب"، قائم الزوايا ونجعله أحدا وعشرين فيكون كلّ واحد من خطّي "ه ج"، "د ز"، عشرة من العدد، لأنّ خط "ج د"، جذر المال وسطحي"ز أ"، و "أ د"، عشرة أجذار.)) (الجيلي، ١٩٦٤م: ٩٠٢) كما نلاحظ أنّ الجمل القصيرة والبسيطة والألفاظ السهلة من ميزات نص ابن ترك في الرياضيّات. لكنّ الكلمات المستخدمة فيها هي خاصّة في هذا العلم مثل "مال" (x^2) و"جذر" (x) أو مصطلحين "الضرورات" و"المقترنات" في حلّ المعادلات. هذا النصّ خال عن الصناعات اللفظيّة والمعنويّة، ولكنّه صعب لأنّ موضوعه هندسيّ ويحتاج إلى التدقي والتفكير.

أمّا التأليف الآخر الذي له نزعة علمية عنوانه: رسالة في إقامة البرهان على الدائر من الفلك من قوس النهار وارتفاع نصف النهار وارتفاع الوقت لأبي الوفاء محمّد بن محمّد البوزجانيّ (ت٣٨٨هـ) أبو الوفاء محمّد بن محمّد البوزجانيّ مهندس فلكيّ رياضيّ (الزركلي، ١٩٨٩م، ج٧: ٢١) وهو ينسب إلى بوزجان وهي بلدة بين نيسابور وهراة من بلاد خراسان وهي من رساتيق نيسابور (السّمعاني، ١٩٨٨م، ج١: ٤١١) الجمل في هذه الرسالة قصيرة وبسيطة من دون أيّ غموض من الناحية النحويّة، ولا توجد أيّ صناعات لفظيّة ومعنويّة. استخدمت فيها كلمات سهلة في شرح الموضوع، على سبيل المثال: ((وإذ قد تبيّن ذلك فإنّا نبين كيف نعلم ما دار من الفلك على اختلاف وجوهه فلتكن دائرة الأفق، أدب ج، وخط، أ ج، الفصل المشترك لدائرة نصف النهار ودائرة الأفق وقوس، ج د، قوس نهار اليوم والشمس على نقطة، ز، ونَخرج من نقطة، ز، خط، ز ح، عمودا على، ه ح، الذي جيب النهار ونَخرج من نقطة، ح، خط، ح ط، عمودا على خط، أ ب، فيكون لما بيّنا خط، ح ط، ارتفاع الشمس الوقيّ ونَخرج من نقطة، ه ، عمود، ه ي، على خط، أ ب، فيكون، ه ي، جيب ارتفاع نصف النهار اليومي.)) (المصدر نفسه: ٧) أمّا في استخدام الألفاظ فلا بدّ من ألفاظ خاصّة تستخدم في هذا العلم مثل "الجيب")هو العمود النازل من قطر في القوس على القطر الخارج من طرفها الآخر) "الفلك" (دائرة البروج)، "البروج"، معدّل النهار و..أمّا الكلام في هذا النصّ فيبدو مغلقا، وهذا الإغلاق يرتبط بموضوع البحث، ولذلك يحتاج إلى جمل بسيطة لشرح الموضوع وفهم المعني، ورسم الأشكال يجعل المسألة أسهل للفهم.

من بين المجالات العلمية التي بزغت إبّان العصر الساماني علميَي الطّب والصيدلة وللإيرانيين فضل جم في تأليف الكتب الطبّية وسنكتفي بضرب المثل لمحمّد بن زكريا الرازي الذي اشتهر في الطّب والكيمياء وجمع بينهما وبلغت مؤلّفاته الطبية (٥٦) كتاباً أشهرها كتاب "المنصوري في الطب" وهو عشر مقالات في تشريح أعضاء الجسم كلّها أهداها الرازي إلى المنصور بن إسحاق. ينبغي للإنسان أن يدرّب عقله على الصناعات التي يعرف منها جملا ينتفع بها عند الحاجة إليها. فالصناعة التي يحتاج إليها في سياسة جسده وتقويمه تسمّي الطب. وينقسم إلى قسمين، أحدهما تدبير الجسد الصحيح ليثبت له صحّته، والآخر ردّ الجسم السقيم إلى حال الصحّة (الرازي، ١٩٨٧م: ١٧ و ١٨) فليحرص الإنسان على علم ما يكسبه صحّة وعافية ويدفع عنه مرضاً وعلّة.وقد جمع في هذا الكتاب نكتا من صناعة الطبّ ممّا استخرج من كتب القدماء وفلاسفة الأطبّاء ومن بعدهم في أحكام الطب والمفاقهة. وفصّل ذلك على غاية الإيجاز والاختصار في عشر مقالات. تناولت المقالة الأولي المدخل في الطب وفي كل الأعضاء وهيئتها؛ أمّا المقالة الثانية فكانت في تعرّف مزاج الأبدان والأخلاط الغالبة عليها والمقالة الثالثة في قوي الأغذية والأدوية؛ المقالة الرابعة في حفظ الصحّة؛ والمقالة الخامسة في الزينة؛ والمقالة السادسة في تدبير المسافرين؛ والمقالة السابعة جمل وجوامع من صناعة الجبر والخراجات والقروح؛ والمقالة الثامنة في السموم والهوام؛ ثمّ المقالة التاسعة في الأمراض الحادثة من القرن إلى القدم؛ وأخيرا المقالة العاشرة في الحميات، وما يتبع ذلك ممّا يحتاج إلى معرفته في تجويد علاجها. (المصدر نفسه: ١٨ – ١٩) أمّا من الناحية الأسلوبية فنري أنّ الجمل فيه قصيرة وبسيطة وليست مطوّلة ولا غامضة، على سبيل المثال: ((وجميع الأمعاء ستة، ثلاثة دقاق وهي أعلي وثلاثة غلاظ وهي أسفل وأوّل الدقاق هو المعاء المتصل بأسفل المعدة ويسمّي الاثني عشري. ويتلوه معاء يسمّي الصائم. وهذان جميعا منتصبان قائمان ممتدّان في طول البدن، إلّا أنّ الفوهات التي بها يكون جذب الغذاء إلى الكبد في هذا المعاء أكثر منه سائر الأمعاء. وسأذكر هذه الفوهات عند ذكرنا الكبد. ويتلوه معاء يسمّي الدقي. وهذا المعاء ملتفّ تلافيف كثيرة. وسعة هذه الأمعاء الثلاثة كلّها بقدر سعة البواب. ويتلوه المعاء المعروف بالأعور، وهو معاء ليس له منفذ ومجري ما، لكنّه كأنّه وعاء أو كيس، لأنّ له فما واحدا يدخل إليه ما ينزل في وقت ويخرج منه في آخر من ذلك الفم بعينه وهو موضوع في الجانب الأيمن.)) (المصدر نفسه:

٦٧) ولكنّ الكتاب مشحون بكثير من الأخطاء اللغويّة والنحويّة أحيانا، استخدم المؤلّف كلمات واشتقاقات هي أقرب إلى العاميّة كما استخدم كلمات وتعابير لا أصل لها ولا ذكر في المعاجم ولكن وقعت بعض الأخطاء من جانب النسّاخ.

كان ذكر الأقاليم الإسلاميّة من العلوم التي قد أغفلت وانفردت حيث نري في العصر الساماني ظهر علماء اهتمّوا بتأليف الكتب التي يدور موضوعها حول الأقاليم وما يتعلّق بها من ذكر البلاد وتوصيف مدنها المشهورة ومن بينهم كان لأبي عبد الله محمّد بن أحمد المقدسيّ فضل جمّ لتعريف هذه الأقاليم ولذلك دخل في الأقاليم الإسلاميّة وجال فيها، ولقي العلماء، وخدم الملوك، وجالس القضاة، ودرس عند الفقهاء، واختلف إلى الأدباء والقرّاء وكتبة الحديث، وتخالط مع الزهاد والمتصوفين، وحضر في مجالس القصّاص والمذكّرين، والمعاشرة مع كل أحد، وتاجر في كلّ البلاد، ولم يسمع إلّا قول الثقات من الرجال (المقدسي، ١٨٧٧م، ج١: ١) وهو ادّعي أنّ كلّ من سبقه إلى هذا العلم، لم يسلك الطريق الذي قصده ولم يكن للعوام فائدة واجتهد لا يذكر شيئاً إلا الضرورة. ألّف المقدّسي كتاباً عنوانه: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. لغة المقدسيّ فصيحة، بسيطة وواضحة، لا لحن فيها ولا ألفاظ غريبة، على سبيل المثال: ((اعلم أنّ لهذا الإقليم فضائل تنسب إلى هذا الجانب ويشركه في أكثرها جانب هيطل إلّا أنّ هذا لما كان أقدم في الاختطاط والفتح في الإسلام وأقرب إلى أقاليم العرب خُصّ بالذكر وعرّف عند النسبة، يحكى عن ابن قتيبة أنّه قال خراسان أهل الدعوة وأنصار الدولة لما أري الله بالإسلام كانوا فيه أحسن الأمم رغبة وأشدّهم إليه مسارعة، منًّا من الله عليهم.)) (المصدر نفسه، ج٢: ٢٩٣) هو يستخدم حسب الضرورة الكلمات الفارسيّة مثل "دانشومند" (دانشمند) و"نشاسته" (نشسته) حيث قال: ((ولقد سمّيت بستّة وثلاثين اسم دعيت وخوطبت بها مثل مقدسيّ وفلسطينيّ ومصريّ ومغربيّ وخراسانيّ وسلميّ ومقرئ وفقيه وصوفيّ ووليّ وعابد وزاهد وسيّاح وورّاق ومجلّد وتاجر ومذكر وإمام ومؤذّن وخطيب وغريب وعراقيّ وبغداديّ وشاميّ وحنيفيّ ومتأدّب ومتفقّه ومتعلّم وفرائضيّ وأستاذ ودانشومند وشيخ ونشاسته و راكب ورسول، وذلك لاختلاف البلدان التي حللتها وكثرة المواضع التي دخلتها.)) (المصدر نفسه، ج١: ٤٣-٤٤)

من الميزات الأسلوبية الأخرى لهذا الكتاب استخدام الجمل القصيرة واستعانة بالتمييز كثيراً كقوله: ((هذا ذكر أقاليم الأعاجم الثمانية وشرح أسبابها على ترتيب التخوم وأهلها

أحسن أحوالا وأكثر أموالا وأشدّ بأسا وأعظم خلقا وأرسخ في العلم وأمكن في الدين لهم في الخطير رغبة وفي الأعمال حسبة.)) (المصدر نفسه، ج٢: ٢٥٧) إنّ أسلوبه جزل وخال من التعقيد. نثره أسهل وأطوع في تأدية المعاني والتعبير عن الأفكار وأقرب وأضبط للتدقي فيها. يستخدم في بعض المواضع السجع مثل: ((هو أجلّ الأقاليم وأكثرها أجلّة وعلماء ومعدن الخير ومستقرّ العلم وركن الإسلام المحكم وحصنه الأعظم ملكه أجلّ الملوك وجنده خير الجنود قوم أولو بأس شديد ورأي سديد، واسم كبير ومال مديد وخيل ورجل وفتح ونصر وقوم كما كتب إلى عمر لباسهم الحديد وأكلهم القديد وشربهم الجليد؛ ترى به رساتيق جليلة وقري نفيسة وأشجارا ملتفّة وأنهارا جارية ونعما ظاهرة ونواحي واسعة ودينا مستقيما وعدلا مقيماً.)) (المصدر نفسه، ج٢: ٢٦٠)

كثيراً ما نري أنّه استفاد من الأشعار في هذا الكتاب حيث قال: ((فأمّا الريّ فإنّها كورة نزيهة، كثيرة المياه، جليلة القري، حسنة الفواكه، واسعة الأرض، خطيرة الرساتيق وهي التي أهلكت عمر بن سعد الشقيّ حتى قتل الحسين بن على ثمّ اختارها مع النار حيث يقول أخزاه الله:

أَأَتْـــرُكُ مُلْـــكَ الـــرّيِّ والـــرّيُّ رَغبَـــةٌ ... أَم أَرجِـــعُ مَـــذمُوماً بِقَتْـــلِ حُسَـــينِ

وَفِـــي قَتلِـــهِ النَّـــارُ الـــتي لَـــيسَ دُونَهَـــا ... حِجَـــابٌ وَمُلْـــكُ الـــرّيِّ قُـــرَّةُ عَـــينِ

(المصدر نفسه، ج٢: ٣٨٥)

وعند الضرورة يحكي حكاية ويمثّل مثلاً: وهم من قرية بنواحي سمرقند يقال لها سامان وأصلهم يرجع إلى بهرام جور وقد أعطاهم الله الظفر والتمكين وهم من أحسن الملوك سيرة ونظرا وإجلالا للعلم وأهله، ومن أمثال الناس: لو أنّ شجرة خرجت على آل سامان ليبست؛ ألا ترى إلى عضد الدولة وتجبُّره وتمكنه كمال دولته وفتوّة أمره خطب عليه بجميع اليمن وأصابها من غير حرب ولا دبّ إلّا بكتاب كتبه ورسول أنفذه وخطب له بالسند وفتح عمان وملك ما ملك فلما تعرّض لآل سامان وطلب خراسان أهلكه الله وشتت جمعه وفرّق جيوشه ومكن أعداءه من ممالكه فتبًّا بمن عاند آل سامان.)) (المصدر نفسه، ج٢: ٣٣٨)

مفاتيح العلوم لأبي عبد الله محمّد بن أحمد الخوارزميّ (ت٣٧٨هـ):

أبو عبد الله محمّد بن أحمد الخوارزميّ، الكاتب البلخيّ من أهل خراسان (الزركلي، ١٩٨٩م، ج٥: ٣١٢) ألّف الخوارزميّ كتابه وأهداه لأبي الحسن عبيد الله بن أحمد العتبيّ وزير نوح بن منصور الساماني (الخوارزمي، ١٩٦٨م: ٢) هذا الكتاب جامع لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، يتضمن ما بين كلّ طبقة من العلماء من المواضعات والإصطلاحات، التي خلت منها أو من جلّها الكتب الحاصرة لعلم اللغة (المصدر نفسه: ٢ – ٣) يعدّ كتاب الخوارزميّ من أقدم ما صنّفه العرب على الطريقة الموسوعيّة. (الزركلي، ١٩٨٩م، ج٥: ٣١٢) جعل الخوارزميّ هذا الكتاب في مقالتين؛ إحداهما لعلوم الشريعة وما يقتن بها من العلوم العربيّة (الخوارزمي، ١٩٦٨م: ٥ -٧) في ستة أبواب. الباب الأوّل في الفقه؛ الباب الثاني في الكلام؛ الباب الثالث في النحو؛ الباب الرابع في الكتابة؛ ثمّ الباب الخامس في الشعر والعروض؛ وأخيرا الباب السادس في الأخبار وكلّ باب يتكوّن من فصول. تتكوّن كلّ الفصول من عدّة عناوين (معارف) يعرّفها بشكل موجز. في بعض الأحيان لا يتجاوز التعريف الكلمتين مثل المعاجم، وفي بعض العناوين يتجاوز التعريف ثلاثة أسطر.

الجمل أسلوبها بسيط من دون غموض، وألفاظها بسيطة ولا توجد ألفاظ مغلقة وغريبة وليس فيها صناعات لفظيّة ومعنويّة. أمّا نثر الكتاب فهو النثر المرسل دون تكلّف، على سبيل المثال: ((ومن عقاقيرهم المغنيسيا وهي أصناف فمنها التربة وهي سوداء فيها عيون بيض لها بصيص ومنها قطاع كبيرة صلبة فيها تلك العيون ومنها مثل الحديد ومنها أحمر وصنوف أيضاً تتقارب ومن عقاقيرهم التوتيا فمنها أخضر ومنها أصفر وشبيه بالقشور وهو أيضا ضروب فمنه أبيض وهو هندي وهو عزيز وأصفر وهو خوزيّ وأخضر وهو كرمانيّ.)) (المصدر نفسه: ٢٦١)

ديوان الأدب لأبي إبراهيم إسحق بن إبراهيم الفارابيّ)المتوفىّ في العام؟(

أبو إبراهيم إسحق بن إبراهيم بن الحسين الفارابيّ، أديب من أهل فاراب هو خال الجوهريّ صاحب الصحاح في اللغة. (الزركلي، ١٩٨٩م، ج١: ٢٩٣) في القرن الرابع المعروف بقرن المعاجم تمّ تأليف أكبر عدد من المعاجم المشهورة المعتمدة، وفيه أخذ المعجم الصورة المألوفة لدينا، وفيه اتّجه العلماء إلى ترتيب الألفاظ، ترتيباً هجائياً، وبدأوا ينصرفون

عن الترتيب الجاري طبقاً للمعاني. (الفارابي، ١٩٧٩م، ج١: ١٧) اختار الفارابيّ ترتيب الكلمات بحسب الترتيب الهجائيّ المعروف، ورتب ألفاظه بحسب الحرف الأخير (المصدر نفسه: ١٨) وفي هذا الترتيب حذّر من الآراء المختلفة لعلماء الصرف، وسلك سبيلاً أيسر بكثير من كلّ هذا وقرّب هذه الآراء في المصاديق. (المصدر نفسه: ٢٧-٢٩) جاء ترتيب المعجم على نظام الأبنية، وجمع الكلمات التي على شاكلة واحدة في صعيد واحد يفيد الصرفيّين، وهم يستطيعون أن يستخدموا منها ما يريدون من الجانب الصرفيّ. (المصدر نفسه: ٤١ - ٤٣)

بدأ الفارابيّ مقدّمة الكتاب بحمد الله حمداً جليلا ومدح الرسول خاتم النبيّين ﷺ وآله الطيبّين عليهم السلام وأصحابه المنتجبين مدحا جزيلا، وعدّد فضائل النبيّ ﷺ وأشار إلى الأدب في زمن حياته الكريمة، وعظمة مولده الشريف، وفضل أصحابه الأجلّة. لقد مدح النبيّ ﷺ باسمه الحميد، وأخلاقه العظيمة، ونسبه الكريم، وعترته الطاهرة، وأمّته الشاهدة ولسانه الخالد، ويصف هذا اللسان بألفاظ نزيهة. كلامه كثير الشكر ومليء بالسجع. نثره سهل دون تكلف وكلماته بسيطة، على سبيل المثال: ((وأمّا العترة فهي السفينة التي من ركبها نجا، ومن نبا عنها تردّي وهوي. وأمّا الأمّة فشاهدها على فضلها، الله تعالى حيث يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠) وهي الأمّة الوسط والشهداء على الناس يوم الدين)) (الفارابي، ١٩٧٩م، ج١: ٧١)

ديوان أبي بكر محمّد بن العبّاس الخوارزميّ (ت٣٨٣هـ)

أبو بكر محمّد بن العبّاس الخوارزميّ من أئمّة الكتّاب وأحد الشعراء العلماء. كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب. ولد في عام ٣٢٣هـ في خوارزم، ونشأ فيها. رحل في صباه إلى بعض البلدان، فاستوطن نيسابور حيث اتصل بالصاحب بن عبّاد، وتوفيّ فيها.

لم يكن الخوارزميّ شاعرا ملمًّا بأصول الشعر وفنونه فحسب، بل كان عالمًا بالتاريخ الأدبيّ للشعر والأحداث التي ألمت به على طول التاريخ والصراعات الطائفيّة التي أثّرت فيه وحرّفت كثيرا من مفرداته. (صدقي، ١٩٩٧م: ٢٩٧) ألفاظ الخوارزميّ وأساليبه في الشعر تميل إلى السهولة والعذوبة في أغلب الأحيان. كما أنّه استخدم بعض الألفاظ المستهجنة، ويبدو أنّ استخدامها كان أمرا مألوفا جدًّا في القرن الرابع الهجريّ، كما

استخدم بعض المصطلحات العلميّة والمصطلحات العروضيّة وبعض الألفاظ الأعجميّة والمعربّة. (المصدر نفسه: ٢٨١ – ٢٨٢)

أنموذج لاستخدام الألفاظ السهلة والعذبة في الشعر الخوارزميّ:

أمَـا تـرى الزِّعفـرَانَ الغـضَّ تَحسَـبَهُ ... جَمـراً بَـدَا في رَمَـادِ الفَحـمُ مُظطَرِمَـا

كأَنَّـهُ بَـينَ أَطـرَافٍ تَحُـفُّ بِـهِ ... طَرَائِـقُ الـدَّمِ فِـي خَـدَّينِ قَـد لُطِمَـا

(المصدر نفسه: ٤١١)

أنموذج لاستخدام أحد الأوزان العروضيّة في قوله:

بِحَمـدِكَ لَـا بِحَمـدِ النَّـاسِ أضـحي ... وَكيلِـي لَـيسَ يَكفِيـه وَكيـلُ

وَكـانُوا كلَّمَـا كـالُو وَزَنَّـا ... فَصِـرنا كلَّمـا وَزَنـوا نَكيلُـلُ

وَعِشـتُ وَنَـاقِصٌ رِزقِـي فَأضـحَي ... مُفَـاعَلَتُن مُفَـاعَلَتُن فَعُـولُ

كما نلاحظ أنّ الشاعر في الشطر الأخير من البيت الثالث جاء بالتفعيلة مفاعلتن وهي تفعيلة من البحر الوافر فالغرض من استخدام مثل هذه المصطلحات إظهار مقدرته البلاغية والفنية وعمق أفكاره وسعة ثقافته. أنموذج لاستخدام بعض الألفاظ الأعجميّة والمعرّبة في قوله:

غَـدَونَا شَـطَّ نَهـر الهندمِنـدِ ... سُـكاري آخِـذِي بالدّسـتبَبَنَدِ

وَرَاحٌ قَهـوَةٌ صَـفرَاءُ صَـرفٌ ... شَـمُولٌ قَرقَـفٌ مِـن جَهنَبَنَـدِ

فَلَمَّـا دَبَّ كسـرُ اللّيـلِ فينـا ... فَأَصـبَحنَا بِحـالٍ خَردَمَنـدِ

مَتَـى تَـدنُو بِقُبلَتـه تَلَكـا ... وَيُلقِـي نَفسَـه كالدردمَنـدِ

إذا أمعنا النظر في قصائد الشاعر نري أنّه استعان بالانزياح الأسلوبي في كثير من قصائده ومع هذه التقنية استطاع أن يخلق في شعره فضاء حاراً. إنّ النسق الأدائي لديه تصنع قوامه ثقافة الشاعر وزاده اللغوي ومن أهم هذا الأداء الإبداعي هو ظاهرة التشكيلية التي تسبب تحوّل القصيدة من ثقافة الكلمة إلى ثقافة "التشكيل" الذي يذيب اللغة الشعرية في فنون أخر. (التلاوي، ٢٠٠٦م: ١٧١) لا يعتني الشاعر في هذا النوع من الإبداع بمجرد التنسيق لكلماته الشعرية، وإنما يعتني بالتشكيل الذي يحدد طريقة القراءة بالإضافة إلى إكساب

الصفحة نسقاً فنياً خاصاً لتصبح جزءاً حقيقياً من التجربة التشكيلية، وجزءاً من الصورة الشعرية الكلية بكل معطياتها النفسية والفكرية والصوتية الموسيقية. (المصدر نفسه: ١٧٢) لجأ الخوارزمي إلى التلاعب بالألفاظ ومن ذلك قوله:

بَسَمَت فَأَبدَت جيدَها فَتَكشَّفَت ... عَن نَظمِ دُرٍّ تَحتَ نَظمِ لآلِي

وَأَرَتكَ خَدَّيهَا وَلَاحَ عَلَيهِمَا ... صُدغَان ذو خَالٍ وَآخَر خَالي

فَكَأَنَّ ذَا دَالٌ خَلَت مِن نُقطَةٍ ... فَكَأَنَ ذَا دالٌ وَنُقطَةُ ذَالِ

أما أساليب الخوارزميّ في شعره فهي قويّة السبك، وقد وشّيت بالمحسّنات البديعيّة، وهذه الظاهرة تعدّ من أبرز الظواهر الشكليّة التي غلبت على شعر القرن الرابع بصورة عامّة، وعلي شعر الخوارزميّ بصورة خاصّة. ويبدو أنّ البلاد التي خضعت لحكم الفرس في القرن الرابع كان تمتاز بهذه الألوان وبولعها بهذه الحلية البديعيّة. (صدقي، ١٩٩٧م: ٢٨٤) الميل إلى المحسنات البديعيّة من سمات شعر الخوارزميّ (هند، ١٩٧٦م: ٢٠٠) ومن أكثرها الجناس وهو تشابه اللغتين في اللفظ والتامّ منه أن يتّفقا في أنواع الحروف وفي أعدادها وفي هيأتها وفي ترتيبها والطباق أو التضادّ هو الجمع بين متضادّين أي معنيين متقابلين في الجملة. (صدقي، ١٩٩٧م: ٢٨٥- ٢٨٨) أنموذج من الطباق في شعره:

إِذَا أَضحى فَمَوعِدُهُ مَسَاءٌ ... وَإِن أَمسَي فَمَوعِدُهُ ضُحَاءُ

استخدم الطباق بين "أضحى وأمسى"وبين "مساء وضحاء". والجدير بالذكر أنّ الخوارزميّ في استعماله للمحسّنات البديع يّة في عره أقلّ من استعماله لها في نثره. (المصدر نفسه: ٢٨٨) هنالك سمة أخرى لشعر الخوارزميّ هي النضج الثقافيّ الذي تولّد عنده، نتيجة إلمامه بفنون اللغة العربيّة ونتيجة كثرة حفظه لأقوال العرب وأخبارهم وأشعارهم (هند، ١٩٧٦م: ٢٠٢) لأنّه كان أوحد عصره في حفظ اللغة والشعر. على سبيل المثال:

لم لا أقارضُ ما قَد قَالَهُ حَسَنٌ ... وَصلاً بِوَصلٍ وَهِجراناً بِهِجران

الملاحظ أنّ الشاعر اقتبس بالشطر الأخير "وَصلاً بِوَصلٍ وَهِجراناً بِهِجرانِ" من النابغة الذُبياني.

ومن الأعمال الأدبية البارزة التي قام الأدباء الإيرانيين بتأليفها، هي الرسائل منها: رسائل أبي بكر محمّد بن العبّاس الخوارزميّ. كان أبو بكر الخوارزميّ أشهر كتّاب الرسائل

الإخوانيّة وقد ظلّ زمنا طويلا أكبر كتّاب العرب. (متز، ١٩٥٧م، ج١: ٤٣٣) إنّ للخوارزميّ بلاغة خاصة تضمن له التفرّد والاستقلال والنبوغ الأدبيّ . كان أسلوب الخوارزميّ في الرسائل كثير الاتزان وقليل المبالغة وقريبا إلى الواقع، مع لجوئه إلى المحسّنات البديعيّة والسلاسة. أمّا الصفات الرئيسيّة التي اتّصف بها أسلوب الخوارزميّ، فهي المبالغة والتكرار والحشو واعتماد طريقة فنيّة في الكتابة. وقد تؤرينا مبالغته في كثير من الأحيان مجموعة قيمة من الأحوال المتعارضة التي قد تعرض في حياة ذلك العصر. (المصدر نفسه: ٤٣٥) على سبيل المثال رسالة كتبها إلى أبي على البلعميّ عندما فرغ من الحضرة وورد نيسابور: ((حتى لقد ركبت غير دابّتي وأكلت غير نفقتي.)) (الخوارزمي، ١٢٩٧ هـ: ٣٠) وقد يصل باستعمال الحشو والتكرار إلى ملاطفة من يوجّه إليه الخطاب وتملّقه ويذكر خطاباً من السّجع الحسن. على سبيل المثال رسالة كتبها: ((ذكر السيد أنّه كتب جواب كتابي من الظهر إلى العصر، ولقد استبطأته مع ما أعرفه من بعد غوره وغزارة بحره، ولكنّي أغلقت لهذا الجواب بابي، وأرخيت له.)) (المصدر نفسه: ٣٥)

النتيجة:

في الدولة السامانيّة تطوّرت المناهج التأليفيّة، وأصبح موضوع الكتاب واحدا ومتكاملاً ومتواصلا غير متقطّع. يبقى أن نشير إلى أنّ تأثير اللغة الأمّ)اللغة الفارسيّة(على كتابة اللغة الثانية)اللغة العربيّة(أدّى إلى اختلاف كتابات الكتّاب في خراسان عن الكتّاب الذين لغتهم الأمّ هي اللغة العربيّة، وكانت هذه الكتابات مشحونة بالسجع والصناعات الأدبيّة في النصوص الأدبيّة. ومن جانب آخر، إنّ اللغة العربيّة في الكتابات العلميّة كانت بسيطة وسلسة لتعليم العلوم للعوام. لكن يبقى لكلّ كاتبٍ أسلوبه الخاص وطريقته في التعبير التي يختلف فيها عن الآخرين، ففي كتب التفسير جاء الأسلوب نقليًا من دون محسّنات وقد تناول كلّ مؤلفٍ ما وفق إليه من الآيات ووفقا لترتيبٍ خاص تناول فيه القرآن كلّه أو عددا من السور أو الأجزاء.

أما كتب الحديث فقد كان أسلوبها روائيًا واهتمّ بشرح ألفاظ الحديث الصعبة والغريبة، وتناول علم الرجال وعلل الحديث وطبقات المحدّثين، ونقد آراء المحدّثين، وتراوحت مؤلّفاتهم بين الجزء الواحد وثلاثمائة جزء.

أمّا في الكتب الفقهيّة فقد تناولت شروحات حول المذاهب الفقهيّة كافّة لإثبات عقائدهم الكلاميّة، كما تناولت هذه الكتب تراجم عدد من الفقهاء. في هذه الكتب شاع الأسلوب الكلاميّ مستفيداً من تفسير بعض الآيات عند الضرورة بأسلوب خلا تقريبا من التعقيد والصناعات الأدبيّة.

تميّزت كتب الصوفيّة بهداية السالك إلى الطريقة العرفانيّة، فجاءت بعض نصوصهم العمليّة أخلاقيّة بسيطة بينما في نصوص العرفان النظريّ جاء نثرها أشبه بالنصوص الفلسفيّة وفيها الكثير من المصطلحات التي لا يفهمها إلّا العالم بها.

المؤلّفات التي تناولت علم الرياضيات كانت ذات صبغة علميّة تعتمد في الأسلوب على عبارات تعليميّة بسيطة على الرغم من تناولها لنظريّات ومعادلات علميّة صعبة في حدّ ذاتها.

في الطبّ تناول المؤلّفون الطبّ بشكل رئيسيّ والتفتوا أيضا إلى كتب القدماء وشرحوا الطبّ بأسلوب بسيط غير مطوّل ولا غامض. والجدير ذكره أنّ المؤلّفات الطبيّة والعلميّة أيضا كانت في غالبها باللغة الفارسيّة على عكس المؤلّفات الأدبيّة التي كانت كلّها بالعربيّة.

من الكتب الجغرافيّة كان أحسن التقاسيم على سبيل المثال مصدراً للكثير من الباحثين في الجغرافيا في ما بعد، فضلاً عن تطرّقه إلى التاريخ والاجتماع وغيرهما من المواضيع. وقد كانت لغة الكاتب فصيحة وبسيطة وواضحة لا لحن فيها ولا ألفاظ غريبة، وامتازت بالجمل القصيرة.

أمّا بالنسبة للّغة العربيّة وأدبها، فقد ألّفت كتب مهمّة تدلّ على مدى الاهتمام بها والإقبال عليها، فأبو بكر الخوارزميّ مثال عن الأدباء الذين عبّروا بالعربيّة بكلّ براعة لا سيّما في ديوانه ورسائله، حيث كانت ألفاظه وأساليبه تميل إلى السهولة والعذوبة في أغلب الأحيان.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير (١٩٦٦م)؛ الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر ودار بيروت
- ابن حوقل (١٩٣٩م)؛ صورة الأرض، التصحيح ل ج. ه . كرامرز، ليدن: بريل
- جواد، مصطفي (١٩٥٦م)؛ "الثقافة العقليّة والحال الاجتماعيّة في عصر الرئيس أبي على بن سينا"، مجلّة المجمع العلميّ العراقيّ ، مج ٤، الجزء الثاني، بغداد.

- الجيلي، عبد الحميد بن واسع بن ترك (١٩٦٤م)؛ "الضرورات في المقتنات عن كتاب الجبر والمقابلة"، التصحيح لأحمد آرام، نشريه علمى سخن، الدورة الثالثة، العددان ١١ و ١٢
- الحاكم النيسابوريّ، محمّد بن عبد الله (١٩٣٥م)؛ معرفة علوم الحديث، التصحيح للسيد معظم حسين، القاهرة: مكتبة المتنبي
- حلمي بن حسين، إبراهيم (١٣١٣هـ)؛ السلام الأحكم على السواد الأعظم، (لا مكا)، دار سعادت أختر.
- الخوارزميّ، محمّد بن أحمد (١٩٦٨م)؛ مفاتيح العلوم، التصحيح لفان فلورن، ليدن: بريل
- ـــــــــــ (١٢٩٧هـ)؛ رسائل، قسطنطنية: مطبعة الجوانب.
- درويش، أحمد؛ (لا تا)، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، القاهرة، دار غريب.
- الرازي، محمد بن زكريا (١٩٨٧م)؛ المنصوريّ في الطّب، التصحيح لحازم البكري الصديقي، الكويت: معهد المخطوطات العربية
- الزركليّ، خير الدين (١٩٨٩م)؛ الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين
- السمعاني، عبد الكريم بن محمّد (١٩٨٨م)؛ الأنساب، التصحيح لعبد الله عمر البارودي، بيروت: دار الجنان
- صدقي،حامد (١٩٩٧م)؛ ديوان أبي بكر الخوارزميّ مع دراسة لعصره وحياته وشعره، طهران: ميراث مكتوب، آينه ميراث
- عبد المطلب، محمد (١٩٩٤ م)، البلاغة والأسلوبية، القاهرة، دار نوبار.
- عياش، منذر؛ (١٩٩٠م)؛ مقالات في الأسلوبية، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب.
- الفارابيّ، إسحٰق بن إبراهيم (١٩٧٩م)؛ ديوان الأدب، التصحيح لأحمد مختار عمر، القاهرة: الهيئة العامّة لشوؤن المطابع الأميريّة.
- متز، آدام (١٩٥٧م)؛ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربيّة محمّد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- محمّدي الملايريّ ، محمّد (١٩٦٧م)؛ الأدب الفارسي في أهم أدواره وأشهر أعلامه، بيروت: منشورات قسم اللغة الفارسيّة وآدابها في الجامعة اللبنانيّة.
- المسدي، عبد السلام؛ (١٩٧٧م)، الأسلوب والأسلوبية، ليبيا، الدار العربية للكتاب.
- المقدّسي، محمّد بن أحمد (١٨٧٧م)؛ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، التصحيح لدخويه، ليدن: بريل
- الهرويّ ، جواد (٢٠٠١م)؛ تاريخ سامانيان، عصر طلايي ايران بعد از اسلام، طهران: منشورات أمير كبير
- هند حسين طه (١٩٧٦م)؛ الأدب العرب في إقليم خوارزم، بغداد: دار الحريّة للطباعة
- Frye, Richard Nelson, (1965), Bukhara The Medieval Achievement, Norman, Oklahoma: University of Oklahoma Press.